مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

الحيوان في أشعار الهُذَلِيّين

أ. د. محمد معلّا حسن*

ثناء خضر السالم**

(تاريخ الإيداع ١١/٢٥ /٢٠٢٥. قُبِل للنشر في ٢/١٧ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث بعض صور حضور الحيوان في شعر الهُذَلِيّين، وقد درسها البحث في لوحات: الثور الوحشي، والحمار الوحشي، والناقة، ففي قصة الثور الوحشي يتجسَّد الصِّراع بين الثور والكلاب؛ للحفاظ على الحياة، يستميت الثور الوحشي في الدفاع عن حياته، ويتمكَّن من مجابهة الكلاب والتغلُّب عليها، والنّجاة من الصيَّاد، وما يساعده على ذلك انشغال الصيّاد، وكلابه بصيد قطيع البقر، ويخوض الحمار الوحشي الذي شُبِّهت به الناقة معركته في مواجهة الصيَّاد، ويعمل جاهداً للحفاظ على حياته، وحياة أُتُنه، فتسقط الأُتن التي فاجأها الصيَّاد المتربّص بها، وينجو الحمار بحياته، وفي حديث الشاعر عن ناقته تتجسد رحلته التي فرضتها الظروف، يمتطيها ويمضي بحثاً عن مكان مُخصب مملوء حيويَّة ونماء، ويمنح الشاعر ناقته صفاتٍ خارقة؛ حتى تتمكَّن من تحمُّل مشاقِّ الطريق، والوصول إلى الهدف، إنَّها مصدر القوّة الذي يحتاجه الشاعر؛ ليتمكَّن من النجاة من كلِّ ما يواجهه من عَقَبات.

الكلمات المفتاحية: ناقة، حمار وحشيّ ، ثور وحشيّ، شعر الهُذليّين.

*أستاذ –قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طرطوس- سورية- لا يوجد بريد إلكتروني.
**طالبة دراسات عليا " دكتوراه" -قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طرطوس- سورية Email:Tnanaa36@gmail.com

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٥) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (5) 2026

The Animals in the Poetry of Al- Huthaliyyin

D. Muhammad Hasan *
Thanaa Assalem**

(Received 25/11 /2025. 17 /2/2026)

□ ABSTRACT□

This study examines the image of the animal in the poetry of Al- Huthaliyyin. It studies the wild bull, the zebra and the camel .In the story of the wild bull. the struggle between the bull and the dogs is renewed ,for survival, The wild bull fights fiercely to defend it self , managing to confront and over come the dogs and escape the hunter. This is aided by the hunter and his dogs being preoccupied with hunting the cattle herd. The zebra, the camel,also engages in a battle against the hunter, striving to preserve its life and the lives its spring .The she-ass falls, surprising by the hunter, while the zebra escapes. In the poets of camel he describes his journey, he rides it ,searching for a fertile place. The poet attributes qualities to his camel, so that you can endure the hardships of the journey and reach your goal.It is the source of strength that poet needs.

Key words: Zebra, Wild bull , Camel, The poetry of Al- Huthaliyyin.

*Professor, Arabic department.faculty of literatures,tartous university, T tartous,Syria
**postgraduate student,Arabic department .faculty of literatures ,tartous university tartous,Syria.Email:Tnanaa36@gmail.com.

مقدِّمة:

يتناول هذا البحث حضور الحيوان في شعر الهُذَلِيّين، وقد درسه البحث في لوحات: الثور الوحشي، والحمار الوحشي، والناقة، بدأ البحث بحياة الثور الوحشيّ الذي كان يعيش حياة جميلة، قبل أن يفاجئه الصياد، فخاض معركته مع الصياد وكلابه، وجابه الكلاب، وتمكّن من النجاة بحياته، ثمَّ انتقل إلى حياة الحمار الوحشيّ الذي شُبِّهت به الناقة، هذا الحمار خاض معركته في مواجهة الصيَّاد، وبذلَ جهده؛ للحفاظ على حياته، وحياة أُتُنه، لكنّه لم يتمكّن من الحفاظ على حياتها، وهذا الأمر لم يمنعه من العيش، والاستمرار في مكان مملوء بالشجر، وبعدها انتقل البحث إلى حياة الناقة التي منحها الشاعر صفات القوّة والصلابة والسرعة، والقدرة على تجاوز مخاطر الطريق؛ حتى يتمكّن من مواجهة الصعاب، والوصول إلى الغاية المرجوّة من هذا الرحيل، فالناقة مصدر ثباته، تمنحه القوة، يمتطيها راحلاً رغبةً في تجاوز الحاضر القاسي، والوصول إلى حياة أفضل.

أهمية البحث: تأتي أهميَّة هذا البحث من دراسته الحيوان شعر الهُذليّين، ورمزيّته، ودراسة الصور الشعرية فيه، فالحيوان مصدر قوَّة الشاعر، يمنحه الشاعر صفات القوة والصَّلابة ؛ ليتقوَّى به، ويتمكَّن من تجاوز كلّ ما يواجهه من صعوبات في رحلة الحياة الشاقَّة.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي المناسب لهذا الموضوع، فهذا المنهج يمكّن البحث من الخوض في تفاصيل حياة الحيوان، كما استعان بما يخدم الدراسة النصية التأويلية من مناهج الدَّرس الأدبي، ومعطيات المنهج النفسي والاجتماعي؛ رغبةً في إيفاء النصوص المدروسة حقَّها من التَّحليل والتَّأويل.

أسئلة البحث: يطرح البحث عدّة أسئلة: ما هي رمزية الحيوان في شعر الهُذليّين؟ وما أهميته في حياة هذه القبيلة؟ هل تمكَّن الحيوان الذي وصفه الشاعر من منحه القوّة الكافية ليمضي في حياته، متجاوزاً العقبات؟

الحيوان في أشعار الهُذَلِيّين

تشكِّل لوحة الحيوان في صراعه من أجل البقاء رمزاً لصراع الإنسان في حياته، ورغبته في تخطّي الصّعاب، وتجاوز الأزمات التي تعترضه، وصولاً إلى تحقيق آماله، وحفظ وجوده، ويرى الدكتور" وهب روميَّة" قصص الحيوان قصصاً رمزية لم يقصد الشاعر بها إلى وصف حياة الحيوان وحدها، بل كان يقصد الحديث عن رحلة الحياة نفسها، التي لا تتوقَّف حتى تنتهي بها المغالبة والكفاح إلى ميناء الموت[٥]. إنَّها قصة كفاح الإنسان، وسعيه للوصول إلى ما يريد، ففي قصة الثور الوحشي يظهر الصراع في معركة الوجود بين الثور والكلاب، كلٌّ منهما متمسّكٌ بالحياة، وينتصر الثور في معركته، ويتغلّب على الكلاب، وينجو من الصيَّاد، وتتحقق النجاة في قصة الحمار الوحشي أيضاً، لكنَّ أتنه تسقط بسهام الصياد، فيمضي الحمار إلى مكان مُخصِب ليستمتع بالحياة، فهذه الحياة مستمرة، لن يوقفها موت الأُتن، وما رحلة الشاعر على ناقته– التي يصفها، ويمنحها صفات القوة والصلابة والسرعة حتّى يواجه ويتجاوز مشاقّ الرحلة – سوى رحلة البحث عن الحياة المرجوَّة بغرض تجاوز الحاضر المُتعب، والمضيّ نحو مستقبلٍ يخلو من الألم، والحزن، والخيبة.

[٥] انظر: الرحلة في القصيدة الجاهلية: د. وهب رومية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٢ م، ص٢٤١.

١- الثَّور الوحشي :

تَرِد قصّة الثور الوحشي مُصوّرةً شدَّة الصراع، واحتدامَه بين الثَّور والكلاب، فهذا الثَّور يجابه جماعة الكلاب وحده، ويغلبها، ويساعده على النجاة انشغال الصيَّاد وكلابه باصطياد قطيع البقر، فيتمكَّن من الفِرار من الصياد، والنجاة بحياته. والصِّراعُ القائم بين الثور والصيّاد وكلابه، هو صراع حفاظ على الوجود فيما يتعلَّق بطرفي المعركة، فالثور يريد أن ينجو بحياته، والكلاب تريدُ حصَّتها من الثّور، والصيَّاد يريد أن يعيش ويسترزق، فالصيد وسيلة كسبِه قوت يومه، وهذا الصِّراع يحملُ في معناه مواجهة الثّور – رمز ذات الشاعر – للوقت الصعب، فالثور في هذا الصراع يبذل جهده كلَّه ليحمي حياته ويستمرّ، يخوض الثور معركته الوجوديّة بكامل عزمه، وإصراره على الحياة، وينتهي هذا الصراع بفوز الطّرف القويّ الذي سيساعده قدره على الثبات، فللقدر دورٌ كبيرٌ في حسم المعركة، فـ " لمّا يخلّي الدَّهر بين الثور والكلاب، فسينتصر عليها في سهولة ويسر" [٦]، والثور المنتصر هو الشاعر المنتصر على مصاعب الحياة ومشاقّها، وقصّة الثور الوحشي في شعر الهُذَليّين نجدها عند أبي ذؤيب فقط، يقول[٧]:

تاللهِ يَبْقى على الأيّامِ مُبتَقِلٌ ... جَونُ السَّراةِ رَباعٍ سنُّه غَرِدُ
ولا شبُوبٌ من الثِّيران أفْرَدَهُ ... عن كَوْرِه كثرة الإغراءِ والطَّرَدُ
من وَحْشِ حَوضى يُراعي الصَّيدَ مُبْتَقلاً ... كأنَّه كوكبٌ في الجَوّ مُنْجَرِدُ
في ربربٍ يَلَقٍ حُورٍ مَدَامِعُها ... كأنهنَّ بجنبَي حَرْبَةَ البَرَدُ
أمسى وأمسَيْن لا يخشَيْن بائِجَةً ... إلَّا الضوارِيَ في أعناقِها القِدَدُ
وكُنَّ بالرَّوضِ لا يُرْغَمْنَ واحِدةً ... من عيشهِنَّ ولا يَدْرِين كيفَ غَدُ
حتّى استبانَتْ مع الإصباح رامِيَها ... كأنّه في حواشي ثوبِه صُرَدُ
فسَمِعَتْ* نَبْأَةً منه وآسدَها ... كأنّهُنَّ لدى أنسائِهِ البُرَدُ
حتى إذا أدرَك الرَّامي وقَدْ عَرِستْ ... عَنْهُ الكلابُ فأعطاها الّذي يَعِدُ
غادرها وهي تكبو تحت كَلْكلِه ... يكسو النُّحورَ بِوَزْدٍ خَلْفَه الزَّبَدُ
حتّى إذا أمكنَتْه كان حينئذٍ ... حُرّاً صبوراً فَنِعْمَ الصَّابرُ النَّجُدُ

---

[٦] – المرجع نفسه، ص١٣٢ .

[٧] – ديوان الهُذَليّين، المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ١٢٤\١١، ١٢٦– ١٢٨. مُبتقل: حمار يأكل البقل. جون: أسود الظهر. رَباع: في سنّه. غَرِد: في صوته يُطرّب. شبوب: المُسنّ من الثيران. كَوْره: قطيعه وجماعة بقره. حوضى: ماء لبني طهمان. يراعي: ينظر. مُنجرِد: معتزل. ربرب: جماعة البقر. يَلَق: البيض التي تتلألأ. حور مدامعها: يريد بيض. حربة: رملة كثيرة البقر، كأنها في بلاد هُذَيل. بائجة: داهية. القِدد: القلائد. لا يُرْغَمن: لا يصيبهن رغم في عيشهنّ. صُرد: طائر. نبأة: صوت تسمعه ولا تفهمه. آسدها: أغرى بها الكلاب. كأنهنّ: كأنّ الكلاب. البُرد: برود من صوف. أدرك: أدرك الرَّامي الثور. عَرِست: كلَّت وأعيتْ، وقيل: دُهِشت. كلكله: صدره. ورد: الدّم. النَّجُدُ: الشّجاع ذو النّجدة والقتال.

*التفعيلة الأولى في البيت السابع أصابها الخَبْل (فسَمِعت=مُتَعِلُن)، وهو قبيح جداً ونادر جدّاً.

قبل البدء بلوحة الثور الوحشي يوجد بيت يرتبط بما بعده يتحدّث عن عدم قدرة الحمار الوحشي على النَّجاة من فعل الأيام، فهذا الحمار الذي يستمتع بحياة الرّخاء والسعادة المُتحققة بالعيش في مكان فيه خصب وماء ونماء، فيُطرِّبُ في صوته معبّراً عن سعادته، لن يحظى بهذه الحياة الجميلة الهانئة مدى الدّهر، فسوف تتغيّر الأحوال؛ لأنّ هذه الحياة موسومة بالتغيّر لا بالثبات.

ونرى الشاعر ينتقل بعدها إلى لوحة الثور الوحشي، فيتحدّث عن حياة جميلة يعيشها هذا الثور، لكنَّها لن تردَّ الموت عنه، هذا الثور مُسنٌّ (شبوب)، والتقدُّم في العمر يحملُ دلالات الضعف والعجز، وانعدام القدرة والحيوية، إنَّ هذا الثور لن ينجو من تقلُّبات الحياة، وأفعال الدّهر، يصوّره الشاعر وقد ابتعد عن قطيعه قليلاً (أفرده) ؛ نتيجة كثرة مطاردة الصيَّادين، وكلابهم له (كثرة الإغراءِ والطَّرَدُ)، والانفراد إحساس بالخيبة والضعف، فهو لم يعد قوياً وقادراً على مواجهة الصيّاد وكلابه، وحماية قطيعه، لقد ترك الزمن آثاره في جسده، وانفراده يزيد قلقه واضطرابه وخوفه، ويتجلّى الخوف في البيت الذي يليه، فهو يقلّب نظره مخافة أن يقع فريسةً للصيّاد وكلابه، وكما نلاحظ هذا الثور لم يمنعه قلقه من الاستمتاع بملذات الحياة، لكنّ استمتاعه غدا ناقصاً مشوباً بالرعب والقلق، وتتمثل الحياة الجميلة بالعيش في مكان مُخصب مملوء ماءً (وحش حوضى)، وأكلِهِ العشب النَّضِر(مُبتقلاً)، ويشبّهه الشاعر في انفراده بكوكبٍ منعزلٍ في السَّماء (منجرد)، وتشبيهه بالكوكب يمنحه سمة الألَق والإشراق والتّفرّد، ويدلُّ على أهميّته نسبة إلى البقر التي ترعى في مكان قريب منه، فهو مازال مهمّاً في حياتهنّ، حتى لو فقد قواه الجسدية، إنهنَّ يهتدين به مثلما يهتدي الناس بضوء الكوكب الذي بإضاءته ييسّر طريق المارَّة، فهذا الثور هو دليل البقر في طريقهم، والمُرشِد لهم، وظهور الكوكب كما هو معروف يرتبط زمنياً بالليل، ومن هنا يتّضح لنا زمن إقبال الثور والبقر على المرعى، وهو اللّيل الذي يشكِّل غطاءً يقلِّل من احتمالات الخطر.

وينتقل الشاعر إلى تصوير حياته مع قطيعه، إنّها حياةُ الشاعر مع أسرته، ويشبِّه الشاعر هذا القطيع في بياضه ونصاعته بحبَّاتُ البَرَد، والشاعر بهذا التَّشبيه يؤكّد لنا نصاعة بياض لون البقر، فحبّات البرد شديدة النقاء، هذا ما يجعلها أكثر لمعاناً، ووجه الشبه بين البقر وحبَّات البرد لونها ناصع البياض، ولعلّ في بياضها انكشافاً، فهي تلوح للناظر إليها من بعيد، ونرى الشاعر يركّز كثيراً على لون جماعة البقر عبر عدّة ألفاظ (يَلَق –كأنهنَّ البَرَد)، وربَّما في ذلك إشارة إلى صفاء العيش، ورَغَده الذي توفَّر لها، وهذا ينعكس على حياة الشاعر التي كانت صافية هانئة.

وتظهر حالة قلق الثور وقطيعه من الكلاب، فهم في هذا الوقت الليلي لا يخشون إلّا كلاب الصيَّاد، هذا ما يتَّضح من التركيب (لا يخشين بائجةً إلاَّ ضواري)، ويصوّر الشاعر بعدها الحياة السعيدة الآمنة التي كانت جماعة البقر الوحشي تحياها، هذا ما يدل عليه التركيب (وكنَّ بالروض لا يُرغَمْن)، ويشير التّركيب (لا يدرين كيف غد) إلى انشغالهنَّ فيما مضى بمُتع الحياة عن الموت الذي سيأتيهنَّ مع سهام الصيَّاد، وحياةُ البقر ليست إلاَّ حياة الإنسان المُنشغل بعيش اللحظة الراهنة، فهو لا يفكّر فيما يحمله له الغد من آلام ومصائب؛ لأنَّ التفكير فيها ينغّص عليه استمتاعه بالحياة، ولكن ماذا ينتظرها ؟ ينتظرها ما ينتظر غيرها من المخلوقات، فالحياة ليست وجهاً واحداً، و السعادة لا يمكن أن تدوم، فمع قدوم الصّباح تبدأ المعركة، ويتجلَّى الصباح في لفظة (الإصباح) التي تشير إلى اقتراب ساعة الخطر، فالصباح وضوح وانكشاف كلٍّ من الثور الوحشي،

وقطيعه على الصَّائد وكلابه، وتظهر سخرية القدر، لمّا يدهم الخطر هذه البقر المُتمثّل بصيَّاد صغير الحجم، خفيف الحركة، " فلم يأتِ قدر الحيوان من فارس أو بطل، بل من صيّاد لا همَّ له إلّا قنص الوحش" [٨].

يُشْبِه هذا الصيّاد في خفّته، وضآلة حجمه طائر الصُّردِ، والشاعر بهذه الصّورة البصرية الحركيّة يدلُّ على سرعة الصيّاد، وصِغَر حجمه، وخِفّة حركته التي تمنحه القدرة على التّحكُّم، وهذه الخِفّة التي اعتاد عليها الصيَّاد ضرورية للوصول إلى صيده، والحصول على مبتغاه بسرعة ودقَّة، والتشبيه بتعبير الدكتور "مصطفى ناصف": " لا يُخرج المتشابهات من أحكامها وحدودها" [٩]، نستطيع ونحن نقرأ هذه الصّورة أنْ نتخيّل الصَّيَّاد ذا الحجم الضئيل يمضي بخفّة؛ ليقنص صيده، مُشبِهاً هذا الطّير صغير الحجم، خفيف الحركة الذي يمنحهُ حجمه قدرة أكثر على التّحرّك بِيُسْر وسرعة، وهذا ما يمنحه مؤهلات للحصول على مُرادِه إن لم يكن القدر ضِدّه، ولعلَّ رُؤية البقر الصائدَ هي رؤيتها الموت يتقدَّم نحوها، يرى الدكتور " صلاح عبد الحافظ " في صورة الصيَّاد ما يرمز فيه الشاعر إلى ضربة القدر المتربّص للحيوان الغافل[١٠]، والموت هو القدر، يبدأ مشهد الموت بسماع البقر صوتاً قادماً من مكان بعيد، إنَّه صوت الكلاب تقترب منهنَّ، وقد أطلقها الصيّاد نحوهنَّ، وأغراها بهنَّ، والصوت هو النذير باقتراب الخطر، وتربُّص القدر، فكأنّ الموت حصدها على يدِ الصيّاد وكِلابه، ويصوِّر الشاعر كثرة الكلاب في المكان، فيشبِّهها بِبُرَد من الصُّوف، فبُرَد الصوف تغطِّي لابِسها تغطية كاملة، وهذه الكلاب تمتدُّ في المكان وتغطّيه، فهي في حصارها الثور وسيطرتها عليه، كبُرد الصوف التي تحتوي الجسم بأكمله، وفي هذا التشبيه ما يدلُّ على انتشار الكلاب انتشاراً واسعاً، تقوم الكلاب التي أدركت الثور بالمهمَّة الموكلة إليها، فتُنهك الثور، هاهي ذي قد التصقت بالثور التصاق الثوب بالجسد، وكما نلاحظ يلجأ الشاعر إلى الصورة الشعرية لتوضيح شدّة دنوّ الكلاب من الثور، فـ" الصورة هي نتائج فاعليَّة الخيال التي لا تعْني نقل العالم أو نسخه، وإنّما تعني إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المُتَضادة أو المتباعدة في وحدة"[١١]، نلاحظ أنّ الجامع بين كلٍّ من الثوب والجسد، والكلاب والثور، هو شدّة التصاق الكلاب بالثور، كما يلتصق الثوب بالجسد، وهذا يرجّح بل يؤكّد احتمال انتصارها عليه، هذا من الناحية المعنوية، أما من الناحية الفنيّة، فقد أظهر التشبيه سعة خيال الشاعر، وقدرته على التقاط الصور، وتوظيفها لخدمة المعنى، فهذه الكلاب قد اقتربت اقتراباً كبيراً من الثور، ولم يعد ثمّة مسافة تفصل بينه وبينها، هاهي ذي شديدة الدنوِ منه، وتكاد –من كثرة قربها منه– تلتصق به التصاق الثوب بالجسد.

ويشتدّ الصراع ويحتدم بين الثور والكلاب، فالثور يجابه، ويدافع دفاعاً مستميتاً، وقد أعيا الكلاب تاركاً إياها مضرّجةً بدمائها، فسقطت بين قتيل وجريح، ويتمكّن الثور من النّجاة من سهام الصيّاد– فلقد أدركهُ، ولم يتمكّن منه محققاً النصر، ومعلناً استمرار الحياة، ونهاية المعركة لصالِحه، فتتحقّق بذلك حياة الثور، وموت بعض الكلاب، فهذا الثور أجهد نفسه، واستمات في محاولته الحفاظ على بقائه فَنَجا، وكان مثالاً يُحتذى به في الشجاعة والقوة والكرامة، إنّ هذه المقاومة تعكس رغبةً في الحياة، وتمسُّكاً بها، فصورة الثور المنتصر هي صورة المقاتل الشجاع الذي يحقّق النصر، ويقهر العدو، كما هي صورة الشاعر المنتصر على كل ما يعترضه من عقبات، فهو بذلك يشعر بالعزّة والفرح، وبتعبير الدكتور "أنور أبو سويلم" : " لا يمكننا أن نتصوّر المنتصر في معارك الجاهلية إلا كما تصوّر الشعراء

[٨] - الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره : د. صلاح عبد الحافظ ، جامعة الاسكندرية، مصر،١٩٨٢م، ١٦٥\٢.

[٩] - الصورة الأدبية: د.مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٥٣.

[١٠] - انظر: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره: د. صلاح عبد الحافظ، ١٢\ ١٦٦.

[١١] الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغيّ عند العرب:د.جابر عصفور، دار التنوير، بيروت ، لبنان، ط٣،١٩٨٢م، ص ٣٠٩.

الثور في نهاية الصراع، علامات البشر والرِّضى والانتصار والزّهو تغمرُ كيانه" [١٢]، والشاعر لمّا جعل الثور منتصراً تعاطف مع نفسه، فهو أراد أن يكون قوياً قادراً على مواجهة ظروف الحياة ومصائبها، قادراً على أن يحيا رغم كلّ ما ينغّصه ويعوّقه، وتأسيساً على ذلك قد لا يكون محتوماً قول الدكتور يحيى الجبّوري: "من مظاهر تعاطف الشاعر مع الحيوان أن جعله منتصراً في أكثر الأحوال في صراعه مع كلاب الصيد، فهو يجرحها ويصرعها "[١٣]، فالشاعر قبل أن يتعاطف مع الحيوان، قد تعاطف مع نفسه، فالحيوان وسيلة تخدم حياته الواقعية، وهو أداة شعرية تخدم خياله، فلمّا انتصر هذا الحيوان كان صورة لذات الشاعر، وبذلك يكون انتصار الحيوان هو ميلُ الشاعر، بل رغبته في كسب معركة الحياة لنفسه، فهو إذاً متعاطف مع نفسه في المقام الأوَّل، والشاعر بذلك يمنح الثور القوة ليستمدّها منه، وهل هناك أقوى من هذا التعاطف مع الذات، فيكون الثور رمزاً للنهوض والقوة، إنّه كما تقول الدكتورة " ريتا عوض": " رمز الصمود المتجاوز[١٤]، يساعد الشاعر على تجاوز مِحَنه مهما اشتدت، وفي النهاية هذا الثور المنتصر على الكلاب والصّائد، لن ينتصر على الموت، إنّه صورة الشاعر المُنتصر على كلِّ العقبات التي واجهته، الذي سيكسره الموت وسيفنى.

٢- الحمار الوحشي:

يشبّه الشاعر ناقته بحمار وحشيٍّ، ورحلةُ هذا الحمار هي رحلة الشاعر في هذه الحياة، فحتّى يقاوم المتاعب، ويواجه الصعاب يحتاج إلى معادِل موضوعي ينهض به، ويعينُه في مسيرة حياته، ونجاة الحمار – الذي شبَّه الشاعر به ناقته– من الصائد هو انتصار الحياة على الموت، وهو انتصارٌ على الصّعاب التي تواجه الشاعر، وانتصارٌ لأحلامه، ورغبته بالعيش في مكان مملوء خصباً، تتوفر فيه مقوِّمات الحياة الكريمة.

يشبّه الشاعر ناقته في البيت الأوّل، والبيت قبل الأخير بثور وحشي سريع، ثم يشبّهها بحمار وحشي سارداً تفاصيل نجاته من الصيَّاد وكلابه، ومسيرة تعبه حتى تمكَّن من النجاة. يقول أمية بن أبي عائذ[١٥]:

كأنّي ورَحْلي إذا رُعْتُها على جَمَزَى جازِئٍ بالرِّمال
أَوَ اصْحَمَ حَامٍ جرامِيزَةٌ حَزَابِيَةٍ حَيَدَى بالدِّحالِ
يُرِنُّ على مُغْزِياتِ العِقاقِ ويَقْرو بها قَفَرَاتِ الصِّلال

[١٢] الإبل في الشعر الجاهلي: د. أنور أبو سويلم، ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،١١٧٤.

[١٣] الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه): د.يحيى الجبّوري، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط٦ ، ١٩٩٣م، ص٢١٨.

[١٤] بنية القصيدة الجاهلية: د. ريتا عوض، دار الآداب، بيروت،ط٢، ١٩٩٢م، ص٣٠٧.

[١٥] - ديوان الهُذَلِيّين، ١٧٥/٢-١٧٩و١٨٢-١٨٣ و١٨٦- ١٨٩. رُعْتُها: ذعرتها. جمزى: شديد الجَمْز، يعني ثوراً يجمُز: أي يُسرع. جازئ: جزأ بالرطب عن الماء فلا يشرب. أصحم: حمار يضرب إلى الصفرة والسواد. جراميزه: بدنه، حام نفسه من الرماة. حَزَابية: غليظ شديد. حيدى: يحيد، وهو يكون بالدّحال. والدَّحل: هوة يضيق رأسها ويتّسع جوفها. يرن: يصوّت. المغزية: المُتأخرة الحمل. يقرو: يتبع. قَفَرات الصِّلال: ما تفرّق من المطر. المُغزيات: وهن اللواتي يحملن في آخر الزمن. العقاق: أن تضخم بطونها عند الحمل. لواها: حبسها ومنعها ولم يخلها وإياه، حتى أبت من شدة عطشها أن تأكل. الأنيق: المعجب. الأكال: ما أكل. صيهد الحر: شدته. فيح: وهج النجم. الفروغ: فروغ الدلو، الواحد فرغ. الصيهد: شدة وقع الشمس. السِّمال: السملة: بقية الماء في الحوض. مشيف: مشرف. يقول: هو على التل يراقب الشمس متى تغيب فَيَرِد. هيّجها: هيّجها الفحل فمضت قدَّامه. لاحق وقعه: لاحق بوقعها. منكمشات: جادّات. مستحير: يريد غديراً مستحير الجمة. مستحير: قد امتلأ، قد تحيّر فليست له جهة تمضي من كثرته. الضَّحْل: الماء القليل. النَّقيل: ضَرْب من السير. أوب: رجوع. مرامٍ: سهام، أي إدبارها حين تذهب. مغالٍ: يغالي. والمغالي: الذي يغالي أيهما أبعد سهماً، وأصل المناقلة هو أن ينقل قوائمه فيضعها بين كل حجرين. ابن الدجى: يعني أنه يرصدها بالليل. لاطئ: لاصق، قد لصق في مكانه.

لَوَاها عن الماءِ حتّى أبَتْ ... لِحُبِّ الورودِ أنيقَ الأَكالِ
فأوْرَدَها فَيْحُ نجم الفُرُو ... غِ من صَيْهَد الحَرّ بَرْد السّمال
مُشِيْفاً يُراقِبُ شَمْسَ النّها ... رِ حَتَّى تقلَّعَ فيءُ الظِّلالِ
وَهَيّجها لاحِقٌ وَقْعُهُ ... لأدْبارِ منكمِشاتٍ عِجال
فأورَدها مُسْتَحيْرَ الجِما ... مِ ذا طُحْلُبٍ طَافيًا في الضِّحالِ
فَلَمَّا رَوِيْنَ صَدَرْنَ النَّقيلَ ... كأوْبِ مَرَامِي غَوِيٍّ مُغالي
فأوْرَدَها مَرْصَدًا حافِظاً ... به ابن الدُّجى لاطئًا كالطِّحالِ
فعَيَّثَ ساعةً أفقرْنَهُ ... بِالإيْفاقِ والرَّمي والإستلالِ
يُصِيبُ الفَريصَ وصدقًا يَقُو ... لُ مَرْحى وإيحى إذا ما يُوَالِى
فعمّا قليلٍ سقاها معًا ... بِمُزعِفِ ذَيفانِ قِشْبٍ ثُمالِ
سوى العِلْجِ أخطأه رائغًا ... بِثَجْرَاءَ ذاتِ غِرارٍ مُسَالِ
فَجال عَلَيهِنَّ في نَفْرِه ... ليفتَنَّهُنَّ لِزَولِ الزَّوال
فلمّا رآهُنَّ بالجَلْهَتَيْـ ... ـنِ يَكْبُونَ في مُطْحَراتِ الإلالِ
رمى بالجراميزِ عُرْض الوجِيـ ... ـنِ وارمدَّ في الجرْيِ بَعْدَ انتقالِ
بشأوٍ له كضَريم الحريـ ... ـقِ أو شِقَّةِ البَرْقِ في عُرْضِ خالِ
فأحـــيا وجـــيفًـــا وآلافـــهُ ... تجـــيشُ بِهِنَّ القُدُورُ الغَوَالـــي
وقَـطَّـعَ ألواذَ داوِيَّةٍ ... صحارِيَ غُلَّانِ طَلْحٍ وضَالِ
أُشـبـــّه راحلتي ما ترى ... جوادًا لِيُسْمَع فيها مَقَالي
وأنْجو بها عن ديـار الَهـــوَا ... نِ غَيْرَ انتحالِ الذّليلِ المُوالي

يرحل الشاعر على ناقته، والرحلة سعيٌ إلى الحياة، وتمسُّكٌ بها، ورغبةٌ في تجاوز مصاعبها، إنها هربٌ من الحاضر الذي لا يُرضي الشاعر، وسعي للوصول إلى المُبتغى، يشبّه الشاعر ناقته بثور وحشيٍّ سريع (جمزى)، ثم

- كلصوق الطحال بالجَنْب. عيّث: أدخل يده في كنانته ليأخذ سهماً. أفقرنه: أمكنّه. الايفاق: وضع الفوق في الوتر للرمي به، (الفوق من السهم: موضع الوتر). استلال: أي يسل مِعْبَله من الجعبة، وهو نصل عريض. الفريص: جمع فريصة، مضغة لحم في موضع الكتف. مرحى وإيحى: يقال ذلك عند الفرح والتعجب. يوالي: يصيب مرة بعد مرة. المُزْعِف: الموت المُعجِل الوَحِيّ. الذِّيفان: الحَتف. القِشب: السّم. الثُّمال: المُنقع. القِشْب: الخَلَط، أي يخلط السم بشيء يقويه فيقتل. ثُمال: مُنقع: أي عُتّق، ثَمَلته: إذا أنقعتَه وعتّقته. سوى العِلج: وهو الحمار الغليظ. رائغاً: متنحّياً. بثجراء: أي عريضة الوسط من المَعَابل. الغِرار: الحدّ. مسالٌ: كأنما صبَّ صبّاً. فجال عليهن: اعتمد عليهن. نَفْره: حين نَفَر. يفتنهنّ: يشتقّ بهنّ ليزول بهنّ عن المرامي. الجَلهتان: ناحيتا الوادي. يكبون: يعثُرن. المُطْحَر: المُلصق القذّ. مُطْحرات: يعني السّهام. الإلال: الحِراب، مفردها أُلة، جعلهن حرابا لطافاً أُغمِضْن. الجراميز: نفسه. الوَجين: الغليظ من الأرض. ارمدَّ: مضى وأسرع العَدْوَ بعد مناقلته. شأو: الطّلَق. شوطاً ووجهاً، حفيفه كحفيف الحريق. شِقّة من البرق: لَمْحٌ منه. عُرْض: ناحية. الخال: السّحاب المتهيّئ للمطر. أحيا وجيفاً: أحيا ليلته كلّها وجيفا. قال: ولا يكون الإحياء إلا ليلاً. آلافه: أتنه اللواتي كنّ معه. ألواذُها: ما حولها، ما أطاف بها، الداويّة: الفلاة. الغُلَّان: أودية مطمئنة في الأرض ذوات شجر، واحدهاغلٌّ. الضال: السِّدْر البرّي. جوادا: حمارا. أنجو بها: بناقتي. غير انتحال: لأني صادق في مقالي.

ينتقل إلى تشبيهها بحمار وحشيٍّ، مانحاً إيّاه صفات الحذر والقوة، والحذر هو حرص على الحياة، وعملٌ على صونها، والقوة هي دلالة على الصحة والمقدرة، يحمي الحمار نفسه من الرّماة، معلناً بذلك حبّه للحياة، وتمسّكه بها، وينتقي الأمكنة الآمنة (حيدى بالدِّحال)، وذلك في رحلة ذوده عن حياته، وسعيه للحفاظ عليها. وتدّلنا اللفظة (حَزَابية) على شدة قوة هذا الحمار، وغلظته، وتشبيه الناقة بحمار وحشي قويٍّ إسقاط على ذات الشاعر الراغبة في تخطّي الأزمات، والصعاب المُواجَهة، فالشاعر يتّكئ على حيوان قويٍّ في رحلة نجاته.

ونرى الشاعر يستعرض فحولة هذا الحمار، مؤكّداً بذلك قوّته ومقدرته، إنّه يمارس سلطته الذكورية على أتنه في أثناء بحثه عن الماء، والذكورة سطوة وسيطرة، تمنح الذَّكَر الإحساس بالقوة والوجود والأهمية، وهذا ما يريد أن يصوره الشاعر من خلال رمزية الحمار، إنّه القويّ والقادر، وصاحب السلطة والقرار. وننتقل إلى الحديث عن أتنه، هذه الأتن قد حملت في مرحلة متقدّمة من عمرها، فيدلُّ اللفظ (العِقاق) على تضخُّم بطونهنَّ، ولعلَّ هذا ما يعوّق حركتها، ويمنعها من المضيّ بسرعة، والتقدّم في العمر تراجعٌ للحيوية والقوة التي كانت تتسم بها مرحلة الشباب، وهذا يدلُّ على ضعفٍ أصاب كلّاً من الحمار وأُتُنه، فها هو ذا يصرخ بها، يستعجلها للبحث عما تفرَّق من المطر(قَفَرات الصِّلال)، إنّه متمسّك بحياته وحياة أُتنه، مصرٌّ عليها، وقد ظهر هذا في السعي للوصول إلى الماء القليل المتناثر هنا وهناك، إنّه الشاعر المتمسك بالحياة. ويشكّل عطش الأتن الشديد، صورة لمصائب الدهر التي نزلت بها، وتالياً بالشاعر وأسرته، عطش شديد أفقدَ الأُتُن شهيّتها على تناول الطعام، وحرصٌ شديد من جانب هذا الحمار على حياتها، فهو يمنعها من ورود الماء في وقت وجود الصائد في المكان، وهذا ما جعل العطش يتمكّن منها، إنّه الشاعر الحريص على حياته وحياة أسرته، فهو يحاول أن يحميها من كلّ خطر.

ويختار الحمار وقتاً مناسباً للورود، إنه وقت غياب الشمس، في هذا الوقت تكون احتمالات النجاة أكبر؛ لأنَّ الظُّلمة تمنحه وأتنَه القدرة على التخفّي والاختباء والهرب، ويكشف التركيب (صيهد الحر) عن اشتداد الحرّ، وما الحرُّ سوى صورة للصِّعاب، ومعوّقات الحياة. وهذا يعكس معاناة هذا الحمار الشديدة، ومعاناة أتنه، ومعاناة الشاعر أيضاً.

يقف هذا الحمار في مكان مرتفع يراقب انتهاء الحرّ ليشرب وأتنُه، ثمَّ يحثُّها على السرعة، ويظهر تجاوب الأتن في قوله: (منكمشات عِجال)- إنَّها صورة للطاعة التي يحظى بها الشاعر في أسرته- تمضي الأتن مسرعة، وقد وصل بها الحمار إلى مورد الماء، ومورد الماء هو أقوى صورة تجسّد الرغبة في الحياة والتمسّك بها، فالماء أساس البقاء والاستمرار، وتنتهي رحلة العطش المريرة، وهذا يعني انتهاء الصعاب التي أصابت حياة الشاعر، فتستعيد الأتن حيويّتها بعد إتمامها الشرب- هاهو ذا الإحساس بالحياة يعود إلى الشاعر وأسرته- وتمضي مسرعة (صدرْن النَّقيل) بعد أن استعادت نشاطها، فتُسابق بعضها بعضاً، إنّها صورة للحياة السعيدة التي تحقّقتْ، ويشبّهها الشاعر في سرعتها بسرعة سهام في يد رامٍ يتبارى مع آخر أيُّهما أقدر على رمي السهام أبعد، يكشُف هذا التشبيه عن سرعة الحمر الشديدة، ويدلُّ على استعادتها قوَّتها، وقدرتها على الحركة بخفّة، فالماء أعادها إلى سابق عهدها من النشاط، وأعاد إليها لحظات استمتاعها بالحياة بعد أن روت عطشها، فانتهى تَعبُها، وزال إنهاكها الذي تسبّب به عطشها الشديد.

لقد سار الحمار بأتُنه إلى حتفها دون أن يدري، فهو أراد لها أن تشرب وترتوي وتعيش، ولم يُرِدْ أن يصل بها إلى الهلاك- وهذا يعني أنَّ المصاعب التي ظنّ الشاعر أنّها انتهت لم تنته، بل جاء ما هو أقسى

منها، فقد كان الصياد ينتظرها في هذا المكان، والصياد صورة للصعاب والمصائب التي تنزل بالشاعر. وبعد الشُّعور بالطّمأنينة، واستعادة الإحساس بالحياة، يترصّدها الموت المُتجسِّد في الصيّاد الذي تربّص بها ليلاً، وقد التصق بقَترته التِصاق الطِّحال بالجَسَد، وتشبيه حالة التصاق الصياد بقترته، بالتصاق الطحال بجسد الإنسان يدلُّ على حَذَر الصّائد من أيّة حركة قد يتحرّكها دون قصد، يُمكن أن تنبّه الحمار وأتُنه على وجوده، فتجعلهم يفِرّون.

ينتظر الصياد الأُتُن في مَرْصَده القريب من المورِد، فيرميها بسهامه، وينشر الموت بينها، بل يسقيها الموت بهذه السهام(سقاها معاً)، وبذلك يتحول الموت إلى شرابٍ تتناوله الأُتُن في إطار الدلالة على سقوطها صرعى على يد الصائد– لقد أصاب الدّهر الشاعر وأسرته بمصائبه– وتظهر سعادته بصيده من خلال الألفاظ (مرحى وإيحى) التي تُشير إلى نشوة الظَّفَر بها، فسعادته مرتبطة بموت الأُتن، وبقاؤه مرهون بفنائها.

وينجو الحِمار من الصّائد– مثلما تمكّن الشاعر من التصدّي للمصائب– وذلك بعد أن تنحَّى بعيداً عن هذه السهام، ونجاة الحمار إصرارٌ على الحياة وتمسكٌ بها، ورغبةٌ بها على الرغم من كلّ ما يحيط به من صعاب، وهذه النجاة تعكس إصرار الشاعر على مواجهة الفقد –المتمثِّل في موت الأُتُن– والاستمرار في الحياة، ويعتمدُ الحمار على ما تبقَّى من الأُتُن في نفره، ويبتعد بهنَّ عن المرامي، إلاّ أنّ الموت يحصدُهُنّ في جولة الصيَّاد الثانية في مكان يدعى(الجلهتين)، يتعثَّرن بعدما أصابتهنَّ النِّبال، ويسقطن بسهامه المُتتابعة، ولمّا رآهنَّ الحمار بهذه الحالة ما كان منه إلّا أن أسرعَ في العَدْو قاطعاً أرضاً غليظة يصعب المرور بها، إنّه الشاعر المتمسك بالحياة، المصرّ على تجاوز الصعاب مهما كثرت، والمصائب مهما كان وقعها شديداً عليه، ويشبِّه الشاعر الحمار في سُرعة جريه بسُرعة اشتعال الحريق، كما يشبّهه أيضاً بوميض البرق في ناحية السّحاب المتهيّئ للمطر، والتشبيهان يدلّان على شدّة سُرعته التي تعكس تمسُّكاً شديداً بالحياة، ورغبة عارمة بها.

لقد قضى هذا الحمار ليله مستيقظاً، إنّه مازال يقاوم ويتصدّى للصعاب، بينما أتنه تُطبخ في القدور، وتسمع صوت جَيَشان الماء وهو يغلي بهنَّ، إنّه صورة للشاعر الذي لم يثنه الموت المنتشر حوله عن عزيمة الحياة، فتصبّر. ويمضي بعدها الحمار في الفلاة قاصداً مكاناً فيه شجر طلح، وسدر برّي (صحاري غلّان طلح وصال)، هذا المكان هو صورة للحياة الجميلة، إنّه الحياة المتمسك بها، فهو ما يزال قادراً على رؤية جمال فيها مهما قست واشتدّت صعابها، وهو مصرٌّ على أن يحياها بعد فقده أتنه، فالحياة لا تتوقّف عند أحد، هذا ما يريد الشاعر أن يقوله .

هذا الحمار الغليظ– الذي شُبِّهت به الناقة– استحقّ الحياة بعد أن راوغ سهام الصيّاد، فأخطأَتْه، وهذا يدلُّ على رغبة الشاعر في حياة كريمة عزيزة، تستدعي الانسحاب من أرض يشعر فيها بالمذلّة والمهانة. وما صراع الحِمار الوحشيّ سوى صراع الإنسان ليحيا كما يريد، وكما يبتغي، وبتعبير الدكتور" نصرت عبد الرّحمن":" وقصة الصراع الحيواني رمز الصِّراع الإنساني من أجل تحقيق آماله"[١٧]، وهذا يجعل الشاعر مُستحقّاً الحياة الكريمة، فقد رفض حياة الهَوان، وبذلك تكون الناقة رمزاً له، فهي كما يقول الدكتور "مصطفى ناصف" " الإنسان المثالي، يحمل شعلة غريبة، ويستحق الحياة، إذا هو حارب" [١٨]، ولعلّ إسقاط الشاعر ذاته على الحمار القويّ–الذي شُبِّهت به الناقة– يمنحه القوة والقدرة على مواجهة الحياة، ويؤكِّد أحقيَّته بأن يحيا كما يريد، مادام يسعى، ويتصدّى للمصاعب.

[١٧] – الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النّقد الحديث: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٧٦، ص٢١٣.

[١٨] – قراءة ثانية لشعرنا القديم: د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط، ١٩٨١م ، ص ١١٠.

٣- الناقة:

وجدَ الشاعر الجاهلي نفسه في حالة رحيل فرضتها طبيعة بيئتهِ، فعندما ترحل الجماعة، فترحل معها المرأة الحبيبة؛ هرباً من القحط وإقفار الديار، وبحثاً عن الماء، فتكون ردّة فعله الرحيل أيضاً، فيرحل إمَّا سعياً للوصول إلى الحبيبة الراحلة، وإمَّا رغبةً في تغيير واقعه، وكما يذكر الدكتور "محمد النويهي" يعلو الشاعر ظهر ناقته مسرعاً إلى الحبيبة، فإمَّا يلحق بتلك القبيلة المهاجرة، وإمَّا يَفِرُّ من الديار المهجورة التي هاجت عليه تلك الذكرى[١٩]، فماذا سيفعل في هذا المكان الموحش المقفر الخالي من الحياة ؟

ويكشف الشاعر في حديث رحلته على الناقة عن ألمه على فِراق أهله وأحبَّته، وعلى مآل ديارهم التي هي دياره، كما يكشف عن رغبته في البدء بحياة جديدة، وفي مواجهة كلّ ما يعترضه من مصاعب ومتاعب.

وقد كان وصف الناقة وسيلة اعتمدها الشاعر في مواجهة قسوة الحياة في بيئته، وقسوة الظروف التي مرَّ بها، يختار الشاعر في رحلته ناقة قوية قادرة على المضيّ نحو هدفها بأقصى سرعة ممكنة، يرى الدكتور" وهب رومية " أنَّ هذه السرعة مناسبة للرحيل، وما يصحبه من سرعة لا تعرف البطء أو الانتظار، وهو قبل كل شيء رحيل العمر أو رحلة الحياة بما فيها من حزن وفرح[٢٠].

والشاعر يرفض الاستسلام للواقع القاسي، فيتجاوزه بالرحيل أملاً في مستقبل وحياةٍ أفضل، وبداية جديدة، وهو تفاؤل الشاعر بإمكانية العيش في مكانٍ آخر فيه كلُّ مقوّمات الحياة.

فها هو ذا مليح بن الحكم يركبُ ناقتهُ القويَّة راحلاً، بعدما رحل القوم، و رحلت معهم ليلى الحبيبة، يقول:[٢١]

ومُسْتَخْلِسِ الأَرْطَى مَخوفٍ به الرَّدى — بعيدِ المَدَى لِلعِيسِ دَفْنِ المَنَاهِلِ
قَطَعْتُ إذا ما اللَّيلُ أَدْنَى رِواقَهُ — بِمُلتَهِمِ الصَّحراءِ جَونِ الغَيَاطِلِ
بِعِيْدِيَّةٍ كالفَحْلِ أو ماطِلِيَّةٍ — لَحُوقِ التَّوالي ذاتِ جِدٍّ وبَاطِلِ

يتجاوز الشاعر الألم الناجم عن فراق القوم، وفيهم الحبيبة بالرحيل، فيستعرض لنا بسالته التي مكَّنته من تجاوز الصِّعاب والشدائد، فقد قطع الأرض شديدة الخطورة، ذات النبت الكثير والطويل، حيث المياه دفينة، لا يمكن معرفة عمقها، إنّه يغامر إذ يقطعها، ويمتلك شجاعة المضي في هذه الأرض المملوءة بالمجهول المُخيف، ويزيد الشاعر من خطورة الرحلة وهَولها إذ يجعل الليل زمناً لها، هذا ما أكَّدته الكناية التي كثَّفت المعنى في قوله (إذا ما الليل أدنى رواقه)، والتركيب (جون الغياطل)، وقطع الشاعر هذه الأرض الخَطِرة في

[١٩] - انظر:الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه): د.محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت،٣٢٣/١.
[٢٠]- انظر: الرحلة في القصيدة الجاهلية: د. وهب رومية، ص٢٤١.
[٢١] – شرح أشعار الهذليين: أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود محمّد شاكر، طبع مطبعة المدني، نشر مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٥م.١٠٢٦\٣–١٠٢٧. استخْلس النّبت: إذا غطّى الأرض من كثرته. المدى: الغاية. العيس: الإبل. المناهل: المياه. (رواقا الليل: مقدّمه وجوانبه، لسان العرب، (روق) ٢٦٦/٦،). مُلتهم الصحراء: الليل، أي بظلام تدخل فيه الصحراء فيلتهمها؛ لأنها لا تبين فيه. الغياطل. الظُّلمة الشديدة، واحدتها: غيطلة. عيديّة: الإبل. التوالي: أرجلها. ماطلية: منسوبة. ماطل: فحل من كرام الإبل.

الليل، يؤكّد رغبته في الخلاص، و تجاوز الواقع، والمُضي نحو حياةٍ أفضل لن يصل إليها إذا لم يتقوّ، ويبذل طاقته كلّها، وليست هذه الرحلة ليلاً وحسب، بل إنّه ليل شديد الظلمة، ونتيجة شدّة ظلمته يكون الناظر إلى الصحراء غير قادر على تمييزها، فهي غير واضحة، هذا ما توضحه الصورة (ملتهم الصحراء)، فهذا الليل يبتلع الصحراء بتغطيته المكان، وسيطرته عليه، ومنح الليل هذه الصفة يمنح الشاعر قوّة أعظم، فهو لا يأبه بظلمة الليل، ولا يرعبه امتداده، ولا يمكن لمصاعب تعترضه أن تثنيه عن الوصول إلى مراده، إنّنا أمام عزيمة لا تلين، ورغبة في الحياة لا يعوّقها معوّق.

لقد قطع الشاعر هذه الأرض المحفوفة بالأخطار على ناقته القوية التي تشبه الفحل والمنسوبة إلى ماطل وعيدان، ومنح الناقة صفة ذكورية دليل على قوّتها، وقوّتها أهم مقوّمات نجاح الرحلة، أمّا نسبها إلى ماطل وعيدان فهو يدلّ على عراقته، وهي سريعة (لحوقِ التّوالي)، والسرعة قدرة أسرع على الوصول إلى الهدف، وتوقٌ إلى بلوغه، فقد كشفت الصورة بإيجازها، واعتمادها على الإيماء والإيحاء عن سرعة الناقة وخفَّتها، ولعلّ تركيز الشاعر على قوة الناقة، وسرعتها يعكس رغبة حثيثة في تجاوز آلام الحاضر، والمُضي نحو مستقبل يتجاوز فيه كلَّ ما يعترضهُ من صعاب.

والرحيل وسيلة الشاعر لتسلية الهم، والتخلّص من الألم الناجم عن فِراق المرأة التي رحلت مع قومها، فيصوّر الشاعر مليح بن الحكم رحيله بعد أن آلمه فراق الحبيبة، يقول[٢٢]:

بَلْ سَوفَ تُسْلِيكَ عَنْ لَيلى وَذِكرِكَها ... حَرْفٌ تَغَنَّى بِأَطْرافِ الشَّبا أُجُدُ
دَفْقاءُ للرّيحِ فِيما بَيْنَ مِرْفَقِها ... وَبَيْنَ كَلْكَلِها مَجْرًى ومُطَّرَدُ
تُرِيحُ في مِثْلِ جَفْرِ الماءِ يَفْرُجُهُ ... لِمخْرَجِ الرَّبو منها لَهْجَمٌ سَنَدُ
مُهْتَشَّةٌ لِدَليجِ اللَّيل صادِقةٌ* ... وَقْعَ الهَجيرِ إذا مَا شَحشَحَ الصُّرَدُ
لا تُستزادُ ولا تَثْني بِراكبها ... إذا تفَاضَلتِ العِيدِيَّةُ النُّجُدُ
تَخْدِي إذا ما ظَلامُ اللّيل أمْكَنَها ... مِنَ السُّرى وفلاةٌ شَحشَحٌ جَرَدُ
خَدْيَ النَّعامة راحَتْ وهي خائفةٌ ... فَرَفَّعت زِفّها مَشْعوفةً تَخِدُ

---

[٢٢] – شرح أشعار الهذليين، ١٠١٧/٣–١٠١٩. (حرف: النجيبة الماضية، شبهت بحرف السيف في مضائها، ونجائها ودقتها. لسان العرب، (حرف) ٨٩/٤،). الشّبا: حدّة الأنياب، أُجُد: موثقة الخلق. دفقاء: وساع، يريد أنّها واسعة ما بين الفروج. تُريح: تنفس. جفر: بئر، يُخبر أنّها واسعة الجوف كأنّها تنفّس في بئر. (الربو: النفس العالي، لسان العرب، (ربو) ٩٢/٤). لهجم: واسع، يعني جنبها. سند: كأنه جبل. (سعلاة: هي الغول، قيل هي ساحرة الجن، لسان العرب،"سعل").(ظلماء: لزموا الطريق فلم يظلموه، أي لم يعدلوا عنه، لسان العرب،"ظلم"). خشاشة(الخشاش: عويد يجعل في أنف البعير يُشَدُّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده .لسان العرب،"خشش").(حجل: القيد والمشي المُقيَّد، لسان العرب"حجل"). أي يُورِّعُها: يَكُفُّها. المَسَد: الجَبَل. مهتشّةٌ: تطرب وتفرح له. شحشح: صاح. (الصُّرد: طائر أبقع ضخم الرأس، يكون في الشجر، نصفه أبيض ونصفه أسود وكانوا يتشاءمون به، لسان العرب، "صرد"). لا تستزاد(الزاد وهو طعام السفر، لسان العرب"زود").لا تثني براكبها: أي لا تؤخِّره حتى ينثنوا عليه.(التفاضل:التمازي في الفضل، التفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض، لسان العرب"فضل")، عيديّة: منسوبة إلى عيدان بن مهرة. النُّجُدُ: الماضية. تخدي: ضرب من السير(خدى البعير:أسرع، لسان العرب،"خدي") . شحشح: فلاة واسعة وبعيدة محل، لانبات فيها. (الزفيف: سرعة المشي مع تقارب خطو وسكون وقيل هو أول عدو النعام، لسان العرب، (زفف) ٤٢/٧). * هي صادِفةٌ بالفاء، وفي رواية الدّيوان \تصحيف\ بين الفاء والقاف، ومعناها صارِفة ومُعرِضة. (المطايا: مفردها المطية وهي البعير،لسان العرب،"مطي").(غداة: البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، لسان العرب"غدو").أرهقتهنَّ: أدركتهنَّ. سِيرة: حركة، لسان العرب،"سير")نَكَظاً: عجلة شديدة.(العنس: الصُّلب من النوق، لا يقال لغيرها، لسان العرب،"عنس").تنقَصِد: تنكسر.

يُسلِّي الشاعر همَّه بامتطاء ناقته، والرحيل عن هذه الديار بعدما فارق الحبيبة، والرحيل تغيير، والتغيير بدء، وانطلاقة جديدة، ومواجهة لقهر الفِراق وقسوته، وصدمة البعد، والناقة كما يقول الدكتور " كمال أبو ديب": " رفيقة رحلة الأسى لحظة الإقرار بالتفتُّت والاندثار والانقطاع، وهي تجسيد لفاعليَّة الزَّمن التي تولّد التغيّر، وتؤدّي إلى تمزيق المكان والعلاقات الإنسانية"[٢٣]، والرحيل رغبة في التخلص من الواقع الأليم الذي يبعث في النفس الخيبة، وانقطاع الرجاء، فلا وصال استمرّ، ولا حبيبٌ بقي، إنّه وسيلة الشاعر للتأسي، والنسيان، والتجاوز.

يمنح الشاعر ناقته صفات القوة والصلابة حتى يتمكّن من تجاوز مشاقّ الرحلة بغية الوصول إلى المراد، ويسترسل الشاعر في سرد مواصفات ناقته الجسدية، فهي صلبة، ذات خَلْق قوي، وأسنان حادة، تمضي نحو هدفها، وتكثر الصفات التي يسردها الشاعر لهذه الناقة الأسطورية، ولعلّه يحتاج هذه القوّة المُبالَغ في تصويرها حتّى ينجو من كلّ ما يؤلمه ويتعبه، وهذه الناقة الخارقة تشبه في قوّة جنبها، وضخامته الجبل (سند)، فما أشدّ تعب الشاعر، وما أقسى رحلته، حتى يمنح ناقته قوّة الجبل وضخامته، والوقوف عند مواصفات الناقة الجسدية، أمرٌ نجده كثيراً في الشعر الجاهلي، وقد وقف عنده الدكتور" وهب رومية":" إنَّ الجانب الحسّي من الناقة هو مهوى أفئدة الشعراء ومحطُّ أبصارهم{....} إنَّه ينظر إليها بعينه التي ينظر بها إلى العالم كلِّه، وقد استرعت أوصاف الناقة الحسية هذه العين أكثر ممّا استرعتها صفاتها المعنوية" [٢٤]، فالشاعر يحتاج في عبوره هذه الرحلة الصعبة مواصفات جسدية خارقة لهذه الناقة، فيصفها ويسترسل، ولا يُعنى بأمرٍ آخر أكثر من أمر قوة ناقته التي ستوصله إلى مبتغاه، و ستمدّه بالجَلَد، ونتساءل هنا: ما هذا الجسد المتناسق إلى درجة المثاليَّة؟ هذا الجسد القويُّ ممرُّ أمانِ الشاعر إلى الحياة المرجوّة، وهذا الوصف المثالي للحيوان المستأنِس قد استوقف الدكتور "علي البطل"، فَذَكَر أنّ مبالغة الشاعر في وصف الحيوان المستأنِس مثل ناقة، بعير، حصان، إلى درجة الكمال المثالي، يعود إلى رغبة الشاعر في إظهار نفاسة ما يملك، وهذا من دواعي الفخر الشخصي[٢٥]، وهذا القول قد لا يكون مناسباً لهذه القصيدة، فالشاعر متألّم، ومُفارِق، والإنسان في حالة الفقد مشغولٌ بما فقد، فهو هنا يمنح ناقته من الصفات ما يعكس رغبته في امتلاك حيوان قويٍّ، يعينه على الخلاص من واقع يدفعه إلى الرحيل، ويساعده على تجاوز ما يعترضه من عقبات.

ويكمل الشاعر سرد صفات ناقته فيمنحها صفاتٍ خارقة، فما أقسى هذه الرحلة! وما أقسى ما مرَّ به الشاعر! حتى يصفها بساحرة الجنّ، إنّه يستعين بعَظَمتها، ويتَّكئ على قوَّتها الخيالية في النجاة ممَّا هو به، وهي تمضي في طريقها بثبات، لا تعدل عنه، يساعدها على المضيّ ضمورها المناسب للسرعة، ولا يكفُّها عن سيرها العويد الموجود في أنفها الذي يُستخدم لشدِّ الزِّمام (خشاشة)، هذا العويد سيؤلمها إنْ شدّه الشاعر، فهي تمضي مسرعة، ومتلهفة للرحيل، والتغيير أكثر من الشاعر نفسه، وهو غير قادر على ثنيها عن سرعتها حتى لو شدّ الزمام، ويشبّه الشاعر هذه الخشاشة بالقيد بين الساق والحبل في إطار الدلالة على الضيق الذي تشعر به الناقة، لمّا يشدُّ الشاعر الزِّمام لتقف، هذا التضييق عليها لتخفّف من سرعتها لا ينفع، إنّها بإصرارها على

---

[٢٣] – الرؤى المقنعّة: د. كمال أبو ديب، الهيئة العامة لكتّاب مصر ١٩٨٦م. ص ٢٧٨.

[٢٤] الرحلة في القصيدة الجاهلية: د. وهب رومية، ص ٦٣.

[٢٥] – انظر: الصورة في الشعر العربي حتى آواخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطوّرها): د. علي البطل، ص١٥٠.

سرعتها هذه تمنح الشاعر القوّة، فهي أكثر حماساً منه في هذه الرحلة، وهذا ما يحتاجه الشاعر ليمضي وينطلق، ويتجاوز كلّ صعب.

وهذه الناقة مِطواع لا تُتعِب الشاعر، تفرح وتطرب بهذا الرحيل الذي يختار الشاعر الليل زمناً له، ليُجنِّبها قسوة الصحراء، وتتعدَّد الألفاظ، والتراكيب الدالَّة عليه (دليج الليل – ظلام الليل– السُّرى)، ويربط الشاعر الرِّحلة بصياح طائر الصُّرد الذي تتشاءم به العرب، وهذا يدلُّ على صعوبتها حتى استحضر طائر الصُّرَد الذي هو رمز للتشاؤم.

لم تنته رحلة الشاعر في سرد مواصفات ناقته التي لا تطلب زيادة في الطعام في أثناء الرحلة، وهذا مناسب للحركة، فبقاؤها بوزن خفيف أمرٌ مناسب لتمضي بسرعة، وهي لا تؤخِّر راكبها عن الوصول إلى المكان الذي يريد، وهي السبَّاقة إذا تفاضلت مع النوق العيديَّة، وهي إبل معروفة منسوبة إلى (عَيدان بن مَهرة)، مشهورة بمواصفاتها وعراقتها، وحُسنِ مضائها، لا يعوّق سرعتها اشتداد ظلمة الليل في هذه الصحراء القاحلة، ونرى تركيزاً على امتداد الصحراء القاحلة (فلاة – شحشح – جَرد)، كلُّ هذه الصعاب، لم تُعوِّقْ حركة الناقة شديدة السرعة، التي تُشبه في سرعتها سرعة نعامة تمضي خائفةً، والنعام معروف عنه سرعته الشديدة، فكيف إذا كان خائفاً، هذا ما يجعل السرعة مُضاعَفة، ويحمِّل الشاعر ناقته صوت حُبِّه– هذا ما تؤكِّده اللفظة (مشعوفة)– حبِّهِ الأرض والأهل والمرأة.

ونعود مرة أخرى إلى استعراض سرعة الناقة، وقوّتها الخارقة التي لتجعلها لا تشعر بتعب، فإذا تعبت النُّوق من الرمل في أثناء قطعها الطرق، لا تتعب ناقة الشاعر، وهي تُرهق من يحاول أن يسبقها من النوق، لم يكتف الشاعر بهذا الوصف، بل أكثر من المبالغة، فلشدة سرعة هذه الناقة الصلبة تكاد تتكسر ذراعها، وكما نلاحظ نحن أمام ناقة خارقة في السرعة والصلابة والقوة، ناقة تكشف في مواصفاتها الخارقة عن ضعف الشاعر الشديد، وتعبه الكبير، الذي جعله يسبغ على ناقته من المواصفات ما جعلنا نشعر بالعَجَب، إنّها مواصفات كافية ليتقوّى الشاعر، ويتمكّن من إكمال رحلته الشاقّة.

مما تقدم نجد أنَّ هذه الناقة هي صورة لذات الشاعر شديدة التعب، والقادرة على تجاوز الصِّعاب التي تعترضها وصولاً إلى برِّ الأمان، ومكان الاستقرار، والحياة المرجوَّة، أمَّا صوتُها فهو صوتُ الشاعر المُحِبِّ حياتَه التي كانت عامرة بالفرح بوجود الأهل والأحبة، قبل أن يسلبه، ويسلبهم الزَّمن هذا الفرح.

الخاتمة:

مما تقدَّم نجد أنَّ سرد الشاعر قصص الحيوان، وتفاصيل حياته، كان لغاية رمزية استعرض الشاعر من خلالها مسيرة تعبه، ومعاناته في الحياة، وإصراره على أن يحياها مهما اشتدت الصعاب، وقست الظروف، وما حياة الثور الوحشي سوى تجسيد لمسيرة الإنسان، فاستعراض حياة الثور الجميلة هو استعراض لحياة الشاعر، وصورة الصياد وكلابه هي صورة لفعل الأيام في حياة الشاعر، أمّا مواجهة الثور لها، فهو مواجهة الشاعر لكلّ ما ينغّص عليه العيش، وما انتصار الثور الوحشي في حياته سوى انتصار الشاعر على ظروفه ومصاعب حياته، أمَّا الحمار الوحشي القوي الذي شُبّهت به الناقة، فهو في حياته قد بذل جهده لحماية أتنه، لكنّها سقطت بسهام الصياد، وسقوطها لم يوقف الحياة عنده، لقد استمرّت، ويصور الشاعر استمرارها بوجوده في مكان فيه شجر، إنّه الشاعر الذي لا يستطيع دفع القدر أمام حادثة الفقد، فيستمرّ ويكملُ حياته، فهذه الحياة لا تتوقّف عند رحيل أحد.

أمَّا النَّاقة في رحلة الشاعر، فهي رفيقة السفر القوية السريعة، تمنح الشاعر القوة بصلابتها، وجسارتها وسرعتها، وصبرها على الصعاب، وإصرارها على تجاوز مخاطر الرحلة. إنّها تحيا بنشاط وحيوية ، وتمضي بسرعة مناسبة للتخفيف من ألم الشاعر، فحياتها مملوءة عزيمة وإصراراً على وصول الهدف، إنّها بهذه المواصفات تمدُّه بالقوة

ليكمل الحياة التي اشتدّت صعابها، فأرهقته، وما من وسيلة لتجاوز ما يشعر به سوى ناقة قوية مفعمة بحبِّ الحياة، وقادرة على مواجهة صعابها.

المصادر والمراجع

١- *الإبل في الشعر الجاهلي*: د. أنور أبو سويلم، ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ج١.

٢- *بنية القصيدة الجاهلية*: د. ريتا عوض، دار الآداب، بيروت،ط٢، ١٩٩٢م.

٣- *ديوان الهُذَليّين*: المكتبة العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤- *الرحلة في القصيدة الجاهلية*: د. وهب رومية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٩٨٢،٣م.

٥- *الرؤى المقنّعة*: د. كمال أبو ديب، الهيئة العامة لكتّاب مصر ١٩٨٦م.

٦- *الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره* : د. صلاح عبد الحافظ ، جامعة الاسكندرية، مصر،١٩٨٢م، ج٢.

٧- *شرح أشعار الهذليين*: أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّري، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، مراجعة: محمود محمّد شاكر، طبع مطبعة المدني، نشر مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٥م.

٨- *الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)*: د.يحيى الجبّوري، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط٦ ١٩٩٣م.، ص٢١٨.

٩- *الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه)*: د.محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت،١/٣٢٣.

١٠- *الصورة الفنية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري*(دراسة في أصولها وتطوُّرها): د.علي البطل، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

١١- *الصورة الأدبية*: د.مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت ص ٥٣.

١٢- الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغيّ عند العرب: د.جابر عصفور، دار التنوير، بيروت ، لبنان، ط١٩٨٢،٣م.

١٣- *الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النّقد الحديث*: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٧٦، ص٢١٣.

١٤- *قراءة ثانية لشعرنا القديم*: د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط١ ١٩٨١م ، ص ١١٠.

١٥- *لسان العرب*: أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١ ٢٠٠٠.